

الإذاعة المحلية والهوية الثقافية الجزائرية في ظل تحديات العولمة.

د/ حفيظة محلب،

- أستاذة بجامعة الجزائر3،

كلية علوم الإعلام والاتصال،

قسم الإعلام.

mehleb444hafida@yahoo.fr

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض وتحليل واقع الهوية الثقافية الجزائرية في ظل تحديات العولمة الإعلامية، المتمثلة في توافر آليات تعميم النموذج الثقافي الغربي-الأمريكي، وتوفير إمكانيات عولمة الهوية المحلية عبر فرض نسق من القيم، المتزامنة مع التدفق الكمي والنوعي المبرمج لثقافة العولمة. كما تحاول الدراسة الوقوف عند الإذاعة المحلية والدور الذي تلعبه في المحافظة على الهوية الثقافية. باعتبار أن وجودنا التاريخي والجغرافي مقترن بالوجود الثقافي، هذا الوجود الذي يحدد خصوصيتنا الثقافية ويشكل هويتنا وانتماءاتنا. الكلمات المفتاحية: الإذاعة المحلية، الهوية الثقافية الجزائرية، العولمة الإعلامية، ثقافة العولمة.

Local radio and Algerian cultural identity in light of the challenges of globalization.

Abstract:

This study aims at presenting and analyzing the reality of Algerian cultural identity in light of the challenges of media globalization, namely the availability of mechanisms for the generalization of the Western-American cultural model, and the possibility of globalization of local identity through the imposition of a system of values, synchronized with the quantitative and programmed flow of globalization.

The study also tries to stand on the local radio and the role it plays in preserving cultural identity, since our historical and geographical presence is associated with the cultural presence, which determines our cultural specificity and constitutes our identity and our affiliations.

Keywords: Local radio, Algerian cultural identity, Media globalization, the culture of globalisation.

مقدمة:

تعتبر الهوية الثقافية من أهم القضايا التي تشغل بال المفكرين والعلماء والمثقفين في العالم أجمع، خاصة في عصر العولمة الذي يحدث آثارا عميقة نتج عنها تغير في مفهوم الهوية، وفي كيفية تفكيرهم وتصورهم لأنفسهم في البيئة التقنو-ثقافية والاجتماعية والسياسية الجاري تعميمها.

ولئن كانت العولمة تحمل بعض الآثار الإيجابية لتسهيل التواصل والاحتكاك وخلق فرص جديدة والتقريب بين الأشخاص والثقافات، إلا أن البعض يرى أنها تعبير عن شكل من أشكال "الاستعمار" في طبعة جديدة فريدة منقحة، فهناك من يذهب إلى أن العولمة أداة للسيطرة على وعي الشعوب واتجاهاتها الفكرية وعلى سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال.

وينظر إلى مخاطر العولمة في المجال الثقافي كأخطر التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية اليوم، حيث تطالها حملة إعلامية كبيرة تهدف زعزعة منظومتها القيمة والثقافية واختراقها، وبشكل يتيح إمكانية إعادة هيكلة هذه القيم والثقافات المحلية السائدة، وبالتالي إحلال قيم ثقافية غربية مكانها، تسهم بدورها في تنميط السلوكيات وتوجيهها نحو وجهة - محددة سلفا- تخدم أهدافا قام بوضعها القائمون أو المسيطرون على وسائل الإعلام والمجموعات الإعلامية الكبرى.

والإذاعة المحلية تكتسي اليوم بعدا أكثر أهمية، حيث لم تعد ذلك الوسيط الاتصالي الذي يحرص فقط على إعلام أبناء البيئة المحلية والمشاركة في تنميتها، بل أصبح حصنا منيعا يحميها من تدفق الصور والرموز الثقافية الغربية، وهذا ما يوضح أهمية أن تهض الإذاعة المحلية بدورها المنوط في خلق استراتيجية إعلامية قادرة على إحداث التغير الايجابي في سلوكيات أفراد المجتمع، متمثلا بثبات الهوية عن طريق تعزيز انتمائهم، وإحساسهم بواجبهم نحو ذاتهم، ومجتمعهم، وتحصينهم من الأفكار المتنافية مع قيم مجتمعاتهم، من خلال تفادي سلبيات عصر المعلوماتية واستثمار ايجابياتها بما يشبع حاجاتهم وبالتالي تساعدهم في عملية دعم الهوية من جميع الجوانب الحياتية: الاجتماعية، الثقافية والنفسية مما يسهل على أفراد المجتمع تحقيق هويتهم الشخصية والثقافية السوية.

وعلى ضوء ما سبق تتحدد مشكلة دراستنا في بحث واقع الهوية الثقافية الجزائرية ودور الإذاعة المحلية في المحافظة عليها، والتحديات القائمة في ظل العولمة الإعلامية.

أولا/ الإذاعة المحلية وظهورها بالجزائر 01. مفهوم الإذاعة المحلية:

من بين التعاريف التي يمكن تقديمها للإذاعة المحلية أنها: "البث المحلي لتلك المحطة التي تشتغل في المجتمع، والمنشأة فيه بهدف خدمة هذا المجتمع، وعكس صورته وتوصيل صوته من خلال أفراد هذا المجتمع نفسه، قد يكون هذا المجتمع ذو صبغة إقليمية أو جغرافية كأن يكون عبارة عن بلدة أو قرية صغيرة أو مقاطعة، كما يمكن أن يتكون من مجموعة من الأفراد التي تجمعهم اهتمامات مشتركة دون أن يقتضي ذلك العيش معا في إقليم جغرافي واحد وهكذا يمكن إدارة هذه المحطة وتنظيم عملها بواسطة مجموعة واحدة أو عدد من المجموعات المجتمعة معا أو مجموعة من الأفراد والمواطنين، وأهم ما يميز محطة البث المحلي عن غيرها من وسائل الإعلام الأخرى وهو ارتفاع مستوى مشاركة الأفراد فيها وتفاعلهم معها."⁽¹⁾

02. ظهور الإذاعة المحلية بالجزائر:

بالحديث عن الجزائر نجد أن الإذاعة المحلية تحظى بشعبية واسعة وبرامجها مسموعة لدى كل الفئات، حيث تسعى بشكل خاص إلى الاستجابة لأنواع كثيرة من رغبات وتطلعات مستمعها أخذة بعين الاعتبار حاجاتهم ودوافعهم الجديدة، إلى جانب التكفل بالتراث الثقافي وتثبيت الجذور الحضارية التي تقوم عليها الشخصية الجزائرية وترسيخ هويته والعمل على الحفاظ على عاداته وتقاليده وأعرافه ودينه.

وتجسيدا للانفتاح الذي تميزت به الإذاعة فور الدخول في عهد التعددية الإعلامية بموجب "دستور 1989"، والذي أكده "قانون الإعلام 1990"، دخلت الإذاعة عهدا جديدا من التعددية ولعل من أهم مظاهره الانتشار الواسع في الإذاعات كما ونوعا، حيث قامت الحكومة الجزائرية وبالإضافة إلى القناة الوطنية الأولى الناطقة باللغة العربية بإنشاء قناتين وطنيتين الثانية ناطقة بالأمازيغية، والثالثة باللغة الفرنسية، ثلاث قنوات متخصصة (الإذاعة الثقافية، إذاعة القرآن الكريم، وإذاعة البهجة الموسيقية).

وشرعت كذلك في إقامة الإذاعات الجهوية أو المحلية وكانت انطلاقا التجربة بإطلاق أربع محطات إذاعية هي على التوالي (إذاعة الساورة) ببشار والتي تأسست في 20 أفريل

1991، تلتها إذاعة متيجة في 08 ماي 1991، ثم إذاعة ورقلة في 09 ماي 1991، وإذاعة الأغواط والتي تأسست في "05 نوفمبر 1991"⁽²⁾. وفي السنة الموالية أقامت ثلاث محطات إذاعية أخرى (تمنراست، تلمسان، سطيف) إضافة إلى إذاعة البهجة الموسيقية. ومع حلول سنة 1995 دخلت الإذاعة المحلية في الجزائر مرحلة أخرى ويطلق عليها مرحلة التوسيع والتي شهدت إطلاق 13 إذاعة جهوية، كما تم الزيادة من حجم البث الإذاعي من ساعتين إلى أربع ساعات فأكثر، مع مراعاة الخصوصية الثقافية لبعض المناطق حيث تم إدخال بعض اللهجات (كالقبائلية، الشاوية والمزابية) في بعض الإذاعات المحلية. وبدخول الجزائر العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين وبالضبط في سنة 2001 وبغرض تعميم الإذاعات المحلية أو الجهوية على المستوى الوطني في إطار تحقيق تحدي إذاعة لكل ولاية، حيث وجدت الجزائر نفسها في مرحلة تثبيت سياستها الإعلامية المنبثقة عن قانون الإعلام أبريل 1990، وقد تم خلال الفترة الممتدة بين (2001-2005) إنشاء تسع محطات إذاعية حيث بلغ عدد الإذاعات الجهوية التي تم إنشائها إلى بداية سنة 2005 ما يعادل 25 إذاعة جهوية، ليبليغ عدد الإذاعات الجهوية الموزعة عبر التراب الوطني إلى غاية نهاية سنة 2010 والتي تبث فعليا 46 إذاعة جهوية، تضطلع بالوظيفة الخبيرة والتفاعلية الجوارية بعيدا عن كل دواعي الإثارة التي هي ليست من الموضوع في شيء⁽³⁾، وكانت آخرها محطة بومرداس الجهوية بتصنيف 48 والتي أطلقت إشارة بثها رسميا في التاسع من شهر أوت 2012.⁽⁴⁾

ثانيا/ مدخل إلى مفهوم الهوية الثقافية

01. مفهوم الهوية:

يرى ميشلي *Mucchielli* "أن الهوية تتضمن دائما مختلف الفاعلين في السياق الاجتماعي الذين لديهم قراءة لهويتهم ولهوية الآخرين، وذلك حسب الحالات، وقضاياهم ومشاريعهم، وهذه الهوية في تحول مستمر، لأن السياقات المرجعية لهذه الهوية (السياق البيولوجي، النفسي، الزمني، المادي، الاقتصادي، الثقافي، السياسي) في تطور دائم نتيجة لتلك التفاعلات."⁽⁵⁾

وبالتالي كل حديث عن الهوية هو حديث عن التمييز عن الآخرين وكل تناول لهذا المفهوم هو حديث عن الاختلافات مع الآخر "فالهوية هي صفات وأحاسيس، ونمط حياة وهي في كل شيء، في الملابس والمأكول والموسيقى والفن والثقافة، وفي الحرية والمقاومة والصمود، فهي

نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به دون أن يذوب فيه، الهوية إذن هي أحد مكونات الشخصية الوطنية.⁽⁶⁾

02. مفهوم الثقافة:

يعرفها بعض الباحثين بأنها "مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كإسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، ولتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته والطرائق والأساليب والأشكال التي يبدها الإنسان من ابتكارات يعزز بها إنسانيته وينظم حياته الاجتماعية والخاصة الفكرية والروحية والجمالية، وتشمل الثقافة مجموع النشاط الفكري والفني، وتنظيم جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسير السلوك والتصرف والتعبير وطرز الحياة كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا."⁽⁷⁾

03. مفهوم الهوية الثقافية:

من المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونسكو والذي ينص على "أن الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء أننا أفراد ننتمي إلي جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر (بطريقة إيجابية أو سلبية) الطريقة التي ننتسب بها إلي جماعتنا والعالم بصفة عامة"⁽⁸⁾.

ثالثا/ مكونات الهوية الثقافية الجزائرية

قبل أن تكون الثقافة الجزائرية انعكاسا لعادة، أو ترجمة لعمل فكري، كانت ولا تزال قبل كل شيء تعبيرا عن الانتماء، الانتماء إلى حضارة ميزتها العربية والأمازيغية والإسلامية، وهي السمات الأساسية للشخصية الجزائرية التي حفظتها من محاولات استعمارية لسحبها كلية من ذاكرة الأمة الجزائرية ومن حياتها اليومية، وعليه تتكون الهوية الثقافية الجزائرية من محددات ومقومات ترتكز عليها، سنبينها كالآتي:

01. البعد الزماني المكاني:

تحتل الجزائر مركزا جغرافيا هاما وموقعا استراتيجيا بين قارات العالم القديم والمتمثلة في إفريقيا، أوروبا، آسيا، والجزائر بلد إفريقي وجزء من إقليم حوض البحر المتوسط، حيث انبعثت على ضفاف هذا الحوض عدة حضارات كالفينيقية، اليونانية والرومانية، وهي ليست بعيدة عن أوروبا، سواحلها قريبة من سواحل أوروبا، ومن جهة أخرى أن الجزائر جزء من الوطن العربي، ومهد الحضارات الإنسانية، أهمها الحضارة العربية الإسلامية، ومهبط الوحي ومكان الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، وموطن مبعث الرسول (ص) في الجزيرة العربية ونزول القرآن، وانتشار الإسلام وقيام العرب بفتوحات." (9)

والحدود السياسية للجزائر في القرن 20 لم تكن ثابتة، ولم تكن تطلق كلمة الجزائر إلا على مدينة ساحلية صغيرة ولم تكن تعني القطر الجزائري المعروف الآن، فهذا المفهوم لكلمة الجزائر، لم يعرف إلا أثناء الحكم العثماني، بل إن عبارة المغرب الأوسط لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى- المغرب الأقصى)، كانت كلها غامضة. (10)

كما أن الجزائر قبل 1830 كانت متشعبة ومتأثرة بنفس القيم الروحية والأخلاقية في كل من: المغرب وتونس، وحتى خارج حدود هذه البلدان من شرق ليبيا إلى غاية غربها، كما كان الجزائريون ينتقلون بسهولة من بجاية إلى القيروان ومراكش، وطرابلس، القاهرة ودمشق وبغداد، وكانهم ذاهبون من الجزائر العاصمة إلى تلمسان، ولهذا فإن رسم الحدود المكانية للهوية الوطنية الجزائرية لم تكن معروفة قبل الاحتلال الفرنسي كما هي عليها الآن، ولم تكن الحدود تعرف بين سكان المغرب العربي. (11)

02. اللغة:

إن اللغة من أهم مكونات الهوية الثقافية التي تعبر عن أفكار ومعتقدات الأفراد، واللغة هي التي تجعل وجودا للثقافة وتناقضها من فرد لآخر ومن جيل لآخر أما ممكن الحدوث، وما نلاحظه أن الجزائر احتفظت بلغتها العربية الفصحى من جهة، فاللغة العربية هي اللغة الأم للثقافة الإسلامية، (12) ومن جهة أخرى لم تتخل عن لغتها الدارجة التي لا تعتبر مجرد لهجات، بل كثيرا ما تستعمل في نوع من الثنائية اللغوية المفيدة في التعامل والتفاهم، حيث أن اللغة العربية الفصحى كانت تدرس في كافة جهات القطر بل حتى في المناطق التي لا تستعمل فيها العربية الدارجة، ويتخاطب سكانها بالأمازيغية.

ففي الجزائر نجد قسم كبير يتكلم اللغة الأمازيغية بشتى لهجاتها في العديد من مناطق البلاد وهي تتمركز بشكل ملحوظ في منطقة القبائل وجبال الأوراس، كما يستخدمها الطوارق (أمازيغ الصحراء) في الصحراء الكبرى، وكانت تستخدم اللغة الأمازيغية في عموم الجزائر حتى قدوم الفينيقيين، حيث شهدت تلك المرحلة استخدام كتابة التفيناغ، وعلى الرغم من انتشار البونيقية، واللاتينية والعربية فيما بعد، إلا أن اللغة الأمازيغية ظلت اللغة الأساسية للجزائريين حتى هجرات بنو هلال في القرن الحادي عشر.

03. الدين الإسلامي:

يشكل الدين الإسلامي جوهر الهوية المحلية، فالدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في هويتنا الثقافية، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح، فهذا مكون رئيسي من مكونات الهوية الثقافية، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد على العقل والوحي بشكل متوازن، وهذا يمثل أيضا ملمحا من ملامح هويتنا الثقافية.⁽¹³⁾

04. التاريخ:

لا يمكن لأمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها، الذي يمثل أحد قسّمات هويتها، والباحث في الثقافة الجزائرية بوصفها استمرارية للزمن، يجد تاريخا مميزا جمع شمل كل الجزائريين بلا استثناء، كثورة التحرير الجزائرية التي شارك في إنجازها جميع الجزائريين، مما يوحي بهوية جزائرية صرفة لا تقبل المجادلة ولا تقبل المراهنة على أي مركب من مركباتها، ونفس الأمر ينطبق على الجزائريين في عهد الستينات وسينطبق على الجزائريين بعد قرون، إذ ما دام الفرد جزائريا فإن الانتماء للمأثر الجزائرية يظل حقا مشروعا له، فجزائر القرن الواحد والعشرين ليست جزائر المائتين قبل الميلاد لكنها تمثل امتدادا لها، ويوجد الجزائريون في كل المراحل المتعاقبة والوضعيات التاريخية ما ينعش الذاكرة ويشكل مصدر الإلهام الثقافي، ولذلك فإنه مهما تغيرت الأزمان فإن الهوية تبقى هوية جزائرية.⁽¹⁴⁾

05. العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعّمه ويغذيّه، لها قوة معيارية، وتتطلب الامتثال الاجتماعي، والطاعة الصارمة، وتكون مرتبطة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه⁽¹⁵⁾، وقد ساهم اتساع الإقليم الجزائري في إيجاد اختلاف في بعض العادات والتقاليد بين عدة جهات بالرغم من القاسم المشترك في طبيعة المناسبات سواء كانت دينية أو اجتماعية، والمقصود بوجود اختلاف هو في طريقة الاحتفال وأنواع المآدب التي تحضر في هذه المناسبات، وكذا في كل الأزياء المعبرة عن الفرحة بإحيائها، بالإضافة إلى عادات وتقاليد تضم الشعائر والطقوس والآثار الشعبية القديمة الماثورة من احتفالات الزواج، الختان، الأعياد الشعبية، الطعام الأمثال والحكم الشعبية وغيرها.

رابعاً/ مدخل إلى مفهوم العولمة

إن مفهوم العولمة لا يزال يتميز بالغموض، حيث لا يوجد تعريف دقيق ومحدد له، وعليه سنحاول أن نتعرض إلى مجموعة من التعريفات التي تناولها الباحثون والمفكرون في هذا الموضوع بدءاً بالتعريفات اللغوية ثم التعريفات الاصطلاحية.

01. مفهوم العولمة لغتياً:

يذهب العديد من المفكرين إلى أن العولمة بالمصطلح الفرنسي "*Mondialisation*" هي ترجمة للمصطلح الأنجلوساكسوني "*Globalisation*"، وتستعمل كمرادفين ضمن معنى معين وهو تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.⁽¹⁶⁾

فيما يوضح الدكتور عابد بن محمد السفيناني: " أن كلمة العولمة جاءت توليداً من كلمة "عالم"،⁽¹⁷⁾ والصيغة الصرفية للفظلة "عولمة"، هي "فَوْعَلَةٌ"، وقد فرضتها على اللغة العربية حاجة العصر وما طرأ عليه من مستجدات، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل "قولبة" من "قولب"، أي وضع الشيء في صيغة قالب، ومن ثم، يكون معنى "العولمة" هو وضع الشيء على مستوى "العالم".⁽¹⁸⁾

02. مفهوم العولمة اصطلاحاً:

يعرف الدكتور إسماعيل صبري عبد الله العولمة على أنها: "التداخل الواضح لأُمُور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو على دولة معينة".⁽¹⁹⁾ أما الباحث مسعود ظاهر يرى أن "العولمة وجه آخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية وإتباعها من الدول الرأسمالية".⁽²⁰⁾

والعولمة الإعلامية التي هي محور دراستنا، فيقصد بها "العملية التي تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات والشركات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى".⁽²¹⁾

خامساً/ العولمة الإعلامية والهوية الثقافية وفرض النموذج الثقافي الغربي الأمريكي.

إن أية ثقافة تشعر بتفوقها تميل ذاتياً إلى تعميم نفسها، من خلال فرض نموذج مدنيتهما على الآخرين، وتكريس ذلك كخيار واحد للحدثة والتطور والمعاصرة، وحينما يضاف إلى ذلك النزعة القومية والتنافس على مواقع النفوذ في العالم، فإن الأقوى عسكرياً واقتصادياً الأقدر على استخدام وسائل الإعلام وتوظيف التكنولوجيا، يسعى إلى الفوز بموقع الصدارة، لذلك بدت عولمة وسائل الإعلام، وعلى رأسها البث الفضائي تعمل في اتجاه إعادة صياغة العالم وفق ثقافة معتبة هي الثقافة الغربية والأمريكية بوجه خاص، وأصبح أكثر ما يلفت الانتباه، المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فالموسيقى الأمريكية والتلفزيون والسينما، من "مايكل جاكسون" إلى "رامبو" إلى "دالاس"، أصبحت منتشرة في أنحاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة، وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع، خاصة بين الشباب،⁽²²⁾ وبذلك قد تربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش إنتاج الثقافة التي تهيمن وتسيطر على معظم القنوات التلفزيونية العالمية، حيث يفوق الإنفاق الإعلامي في الولايات المتحدة الأمريكية نصيب الإنفاق الإعلامي العالمي، والذي يخصص للمستلزمات الضرورية للصناعات الثقافية الأمريكية لتفرض نفسها وتبسط نفوذها على العالم.⁽²³⁾

وهذا ما أدى إلى طرح إشكالية الصناعات الثقافية بكثرة في الآونة الأخيرة، والتي تم إقحامها الحقل الأكاديمي في أوروبا وكندا على وجه الخصوص، حيث تطور هذا المفهوم بكيفية مكنته من احتواء الظواهر الجديدة الناجمة عن التوسع في استعمال المستحدثات التكنولوجية في شتى مناحي الحياة العامة، حيث تجاوزت دراسات مسألة الصناعة الثقافية

بكثير المقاربة الأحادية التخصص التي تنظر إلى المنتجات الثقافية نظرة سلعية، بضائية تحدد قيمتها قوانين العرض والطلب في السوق، لتشمل مختلف الانعكاسات على الفرد والجماعة والمجتمع، وعلى الاقتصاد والسياسة وأيضا وخاصة آثار هذه المستحدثات التكنولوجية على الاتصال والثقافة، وفي جميع الأصعدة المحلية الوطنية والإقليمية الجهوية والعالمية الكونية.⁽²⁴⁾

وهنا يبرز ما يمكن تسميته التمثيل الاجتماعي، حيث تستغرق الجماعات المحلية في ثقافة العولمة، عن طريق مختلف أشكال الاتصال والمشاركة، ويترتب عن هذا الاستغراق هجر السمات الثقافية الأصلية وإحلالها بسمات ثقافة العولمة، أما التغير الاجتماعي الذي يحدث فهو تدريجي، وغالبا ما يقتصر في البداية على مواقف معينة كاحتفال المسلمين بأعياد الميلاد، ثم يتماهى إلى أن يصبح كليا، ويصعب وقتئذ تمييز الثقافة الخاصة عن ثقافة العولمة، والغريب أن مختلف المجتمعات تضيي تنازلات من قبلها لتدعم بها ثقافة العولمة، إلى أن يصدق المفهوم الذي صاغه كل من بارك وبيرجس حينما ذهبوا إلى أن "التمثيل هو عملية تغلغل والتحام يكتسب الأفراد والجماعات من خلالها اتجاهات وعواطف وأفكار أفراد آخرين، بحيث تستوعبهم الثقافة العامة نتيجة المشاركة في الخبرة والتاريخ."⁽²⁵⁾

وبعبارة أخرى، يمكن للإنسان الواقع تحت هيمنة العولمة- حيث يتسلل الإعلام ببطء وهدوء إلى العقل- أن يكتسب مختلف السلوكيات والممارسات عبر عملية الملاحظة ثم الإعجاب والتقليد، لينتهي به الأمر إلى تعلم ما رأى ولاحظ وشاهد في غياب المهيات -سواء كانت دينية أو قانونية أو اجتماعية- إلى المحاكاة والتمثيل، والتجسيد الفعلي لما رأى ولاحظ وشاهد، وبعد عملية التمثيل تظهر ملامح أخرى لعملية أخرى يسميها بيار بورديو "إعادة الإنتاج"، أي إعادة النماذج والصور التي تعلمها الإنسان بشكل قسري، في قالب هادئ وموضوعي، حيث أن من يملك المعلومة يسيطر ويتحكم، هذا الأمر كان عبر المراحل المختلفة التي مرت بها المجتمعات الإنسانية.

والوطن العربي بهويته العربية الإسلامية يعيش حالة من تغلغل تأثيرات سلبية للعولمة الإعلامية والثقافية، "ذلك أن تدفق الرسائل الإعلامية والثقافية المعولمة من المراكز الرأسمالية بكل قوتها وعنقوانها وقدراتها تصب في دول الأطراف كمجتمعات العالم الثالث، والتي تصبح في الواقع مجرد مستقبلة لهذه الرسائل الإعلامية والثقافية بكل ما فيها من

قيم، بعضها يعتبر في نظر هذه المجتمعات قيما سلبية وأحيانا مدمرة، وهي في جميع الحالات تحمل أخطار الغزو الثقافي مما يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات." (26)

وهذا يعني أن العولمة هي في الحقيقة عولمة نمط معين من الحياة هو نمط الحياة الغربية وتحديدًا نمط الحياة الأمريكية، بما يشمل من علاقات أسرية واجتماعية، والذي يتعارض إلى حد كبير مع الخصوصية الثقافية لمعظم الشعوب العربية والإسلامية، ولكن كما تبين فإن العولمة هي عولمة حضارة بعينها وهذه الحضارة هي تعبير عن ثقافة أمة معينة أو مجموعة معينة من الأمم، فالاعتراف بأن الحضارة الغربية قد اكتسحت العالم لا يعني بأنها تستحق أن تكتسح العالم بأسره، فقد نقبل بأن التقدم العلمي والتطور التكنولوجي أمرًا حتميًا ولكن هذا لا يعني قبولنا بالحضارة الغربية كظاهرة حتمية.

سادسًا/ دور الإذاعة المحلية في المحافظة على الهوية الثقافية

إن بحكم تطور وسائل الاتصال الحديثة وثورة تكنولوجيا المعلومات، أصبح اليوم من ينتج المعارف والمعلومات، ويتحكم في ألياتها ويستثمر نتائجها يسيطر على وسائل الإعلام، (27) فالحياة العصرية وما يصاحبها من نمط وإيقاع سريع يحتم على الإعلام بأن يكون في خدمة الثقافة وأن تتحقق العلاقة الصحيحة المنشودة بينهما، ألا وهي علاقة التحوار الإيجابي، التي تقوم على التفاعل الحي والتبادل المثمر والتعاون المستمر، وأن تكون وسائل الإعلام أدوات ثقافية وأوعية لاستيعاب المضامين الثقافية.

وهنا يبرز دور الإذاعة المحلية، كأهم وسيط اجتماعي، فكونها وسيلة من وسائل الإعلام تقوم بدور متميز في نشر الثقافة خاصة المحلية منها بين أوساط مستمعيها وترسيخها، مستغلة في ذلك كل خصائصها الفنية المتنوعة في نقل ألوان المعرفة والمعلومات التي تؤدي إلى إيجاد الوفرة والتنوع في الشكل والمحتوى الثقافي وتقديمه بأساليب متنوعة، سواء كان ذلك مباشرة عن طريق تعريف المستمع بأحدث الأعمال الأدبية والفكرية أو بطريقة غير مباشرة يتضمن هذا الأعمال في قوالب مميزة كالقوالب الدرامية أو نصف الدرامية مثلا، ولذلك يصعب الفصل بين البرامج الثقافية وغيرها من البرامج، إذ يمكن أن تصنف أغلب الأعمال الإذاعية بما في ذلك البرامج الترفيهية كالمسابقات والأفلام والمسلسلات تحت عنوان ثقافي.

والإذاعة المحلية تنفرد عن غيرها من وسائل الإعلام الأخرى، ببساطة الأسلوب واللغة، واستعمال اللهجات المحلية كعامل هام في نشر الثقافة بين الأوساط الشعبية، وإحياء

التراث المحلي، كما تتناول القضايا والمسائل التي يعاني منها المواطنين وتشغل أفكارهم من أجل معالجتها وإيجاد الحلول المناسبة وتقديم الأخبار المحلية والوطنية والدولية،⁽²⁸⁾ حيث تساهم الإذاعات الجوارية أيضا في إحداث توازن أو توافق بين التقاليد المتأصلة للشعوب وكذا بين التحضر والتطور، إذ يمكنها معرفة الانحرافات المرتبطة بالتقاليد لذا تسعى الإذاعة المحلية إلى تقوية العلاقات الاجتماعية، والأحكام المسبقة حول تعزيز التضامن بين الجماعات الإثنية مع التشكيك بضرورة التغيير المرتبطة بالتطور والرقى.⁽²⁹⁾

وتنفرد الإذاعة المحلية أيضا بالقدرة الفائقة على تعميق الروابط الاجتماعية بين الأفراد على الأقل،⁽³⁰⁾ وذلك من خلال تركيزها على التفاعل الاجتماعي في المجتمع المحلي وإعادة تشكيل أنساق القيم الاجتماعية والاتجاهات المشتركة بين الناس، فبرامج الإذاعة المحلية تجمع حولها مجموعة من الناس في الريف والحضر، يناقشون مضامينها وأهدافها، وبالتالي يتأثرون بها بصفة جماعية وعليه يمكن القول بأن الإذاعة المحلية تحقق وظيفة اجتماعية بالإضافة إلى ما تقوم به من وظائف إخبارية ومزاجية ونفسية، وتتميز الإذاعة المحلية بتركيزها على ثقافة المجتمع المحلي الذي تخدمه من خلال البرامج التثقيفية والترفيهية والتربوية وكذا الاجتماعية والاقتصادية والرياضية.

كما أن الإذاعة المحلية تسمح للأقليات، المجموعات والجماعات ذات الخصوصيات أن تتوسع أكثر وتخلق مكانة لنفسها من خلال وسائل الإعلام المحلية، حيث تقوم بتطوير ذواتهم بحيث يمكن لهم أن يصبحوا معروفين لدى الآخرين، وتقديم للفئات في المجتمع فرصة للتعبير عن مكبوتاتها"⁽³¹⁾.

الخلاصة:

إن التحدث عن الهوية بشكل عام وعن الهوية الثقافية الجزائرية بشكل خاص من الموضوعات الثقافية الهامة ومن قضايا الفكر الاجتماعي والسياسي، فالهوية تعبر عن ذاتية المجتمع واستقلاله وأصالته، وبوصفها مرجعا للحفاظ على تلك الذاتية في ظل البيئة الاتصالية المعولمة التي تتميز بالتنوع الكبير والمنافسة الحادة بين مختلف الوسائط الاتصالية، ومن ثم أصبح من الضرورة إدماج الإذاعة المحلية في التخطيط لبرامج التنمية الشاملة، والاستعانة بالمخططين الإعلاميين عند وضع السياسات العامة والسياسات الإعلامية، فضلا عن تكثيف البرامج المتعلقة بالهوية الثقافية، والعمل على التطوير والتنوع في المضامين الثقافية قصد مواكبة التطورات المتسارعة.

قائمة المصادر والمراجع:

01. باللغة العربية:

أ. الكتب:

- تايبنغ لوي، كيفية إنشاء محطة إذاعة للبت المحلي، ط1، اليونسكو، 2001.
- الجابري محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
- حجازي أحمد محمد علي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
- حمدي أحمد، الخطاب الإعلامي العربي: آفاق وتحديات، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16-20م)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- السفيناني عابد بن محمد، العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2000.
- شكري عبد المجيد، الإذاعات المحلية لغة العصر، المركز الجامعي للطباعة الإلكترونية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.
- شيريقان فضيل، بين لغة البعض ولغة البعض الآخر، منشورات القصبية، الجزائر، 2002.
- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- العايد حسن عبد الله، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.
- عبد الله إسماعيل صبري وآخرون، العولمة عملية منفردة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، تقديم: محمد نوار، دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

- مصطفى نادية محمود، خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- مهنا محمد نصر، في تنظير الإعلام، الفضائيات العربية، العولمة الإعلامية، المعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009.

ب. الأطروحات والرسائل الجامعية:

- جودي مسعودة، تجربة الإعلام المحلي في الجزائر- الإذاعات المحلية نموذجا- ، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003.
- عيساني رحيمة، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، الشباب الجامعي بالجزائر نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية العلاقات الدولية وعلوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- مناصرية ميمونة، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة، من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل رسالة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، 2011-2012.

ج. الدوريات والمجلات:

- إسماعيل محمد أحمد محمد، برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية، مجلة كلية التربية، ج3، ع 30، جامعة عين شمس، 2006.
- شرماطي أحمد، الإذاعات الجهوية في الجزائر، كسب رهان الجوارية، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، ع2، 2010.
- شومان محمد، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي، مج 28، ع2، مجلة عالم الفكر، أكتوبر- ديسمبر 1999.
- المحروقي حمدي حسن عبد الحميد، دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع7، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، القاهرة، 2004.

د. المعاجم والقواميس:

- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989.

٥. الجرائد:

- ظاهر مسعود، صراع الحضارات لمقولة إيديولوجية، جريدة الاتحاد الإماراتية ليوم 1997/04/21.

و. مواقع الأنترنت:

- قسايسية علي، الصناعات الثقافية، من غوتنبرغ إلى بيل غايت، مقال منشور بتاريخ: 2010/05/15، <http://aliksace.weebly.com>، تاريخ التصفح: 2016/05/10.
- قويسم مفيدة، في الذكرى الخامسة لتأسيس إذاعة الجلفة، محطات شاهدة على ميلاد صوت الثورة التحريرية، مقال منشور بتاريخ: 2012/09/09، <http://www.djelfa.info>، تاريخ التصفح: 2015/02/13.

02. باللغة الأجنبية:

أ. الكتب:

- Bouchama Kamel, Algérie terre de foi et de culture, casbah, édition, Houma, Alger, 2000.
- Mucchielli Alex, "L'Identité" Que sais-je ? Paris, PUF, 1986.

ب. الجرائد:

- Mahmoud Salah Mohamed, Mondialisation et souveraineté de l'état, journal du droit international, n°3, paris, 1996.

ج. مواقع الأنترنت:

- Rigaud Jaques, Les Radio Généralistes et le lien social, le cas de RTL, Les Cahiers du Journalisme, N°2, Source : www.cahiersdujournalisme.net/cdj/pdf/02/06_rigaud.pdf (consulté le 20/02/2016).
- Tétu Jean-François, la radio, un media délaissé, Source : http://www.iscc.cnrs.fr/img/pdf/20ans_hermes_catalogue.pdf (consulté le 07/01/2016).
- Tudesq André – Jean, Medias et transfert de modèles, les radions de Proximité en Afrique Sub- Saharienne, un modèle autochtone, Source : www.grer.fr/upload/articles_en_ligne/.pdf (consulté le 11-02-2016).

الهوامش:

(1) لوي تاينخ، كيفية إنشاء محطة إذاعة للبت المحلي، ط1، اليونيسكو، 2001، ص ص 7-8.

- (2) مسعودة جودي، تجربة الإعلام المحلي في الجزائر- الإذاعات المحلية نموذجا-، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003، ص ص 99-100.
- (3) أحمد شرماطي، الإذاعات الجهوية في الجزائر، كسب رهان الجوارية، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، ع2، 2010، ص147.
- (4) مفيدة قويسم، في الذكرى الخامسة لتأسيس إذاعة الحلفة، محطات شاهدة على ميلاد صوت الثورة التحريرية، مقال منشور بتاريخ: 2012/09/ 09، <http://www.djelfa.info>، تاريخ التصفح: 2016/02/13.
- (5) Mucchielli, Alex "L'Identité" Paris, PUF, 1986, P 12.
- (6) أحمد محمد علي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص 37.
- (7) حسن عبد الله العابد، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 23.
- (8) حمدي حسن عبد الحميد المحروقي، دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة علي الهوية الثقافية، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، ع7، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، القاهرة، 2004، ص ص 150-213.
- (9) محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 73.
- (10) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16-20م)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 28.
- (11) Kamel Bouchama, Algérie terre de foi et de culture, casbah, édition, Houma, Alger, 2000, p 41 42.
- (12) فضيل شيريقان، بين لغة البعض ولغة البعض الآخر، منشورات القصبية، الجزائر، 2002، ص 19.
- (13) محمد أحمد محمد إسماعيل، برنامج مقترح لتفعيل دور أنشطة نادي الطفل لتأصيل الهوية الثقافية، مجلة كلية التربية، ج3، ع 30، جامعة عين شمس، 2006، ص 391.
- (14) ميمونة مناصرية، هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة، من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل رسالة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، 2011-2012، ص 127.
- (15) نادية محمود مصطفى، خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 22.
- (16) Salah Mohamed Mahmoud, Mondialisation et souveraineté de l'Etat, journal du droit international, n°3, paris, 1996, p 635.
- (17) عابد بن محمد السفيناني، العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2000، ص 17.
- (18) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 135.
- (19) إسماعيل صبري عبد الله وآخرون، العولمة عملية منفردة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، تقديم: محمد نوار، دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص 43.
- (20) مسعود ظاهر، صراع الحضارات لمقولة إيديولوجية، جريدة الاتحاد الإماراتية ليوم 1997/04/21.
- (21) محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي، مج 28، ع2، مجلة عالم الفكر، أكتوبر- ديسمبر 1999، ص 161.
- (22) رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، الشباب الجامعي بالجزائر نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية العلاقات الدولية وعلوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 244.
- (23) محمد نصر مهنيا، في تنظير الإعلام، الفضائيات العربية، العولمة الإعلامية، المعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص ص 17 18.

⁽²⁴⁾علي قسايسية، الصناعات الثقافية، من غوتنبرغ إلى بيل غايت، مقال منشور بتاريخ: 2010/05/15، <http://aliksace.weebly.com>، تاريخ التصفح: 2017/05/10.

⁽²⁵⁾محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 28.

⁽²⁶⁾حسن عبد الله العايد، مرجع سبق ذكره، ص ص 103 104.

⁽²⁷⁾أحمد حمدي، الخطاب الإعلامي العربي: آفاق وتحديات، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 15.

⁽²⁸⁾عبد المجيد شكري، الإذاعات المحلية لغة العصر، المركز الجامعي للطباعة الإلكترونية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 77.

André-Jean Tudesq, Medias et transfert de modèles, les radions de Proximité en ⁽²⁹⁾Afrique Sub-Saharienne, un modèle autochtone, p 10, Source: www.grer.fr/upload/articles_en_ligne/pdf (consulté le 11-02-2017).

Jaques Rigaud, Les Radio Généralistes et le lien social, le cas de RTL, Les Cahiers ⁽³⁰⁾du Journalisme, N°2, p 62, Source: www.cahiersdujournalisme.net/cdj/pdf/02/06rigaud.pdf (consulté le 20/02/2017).

Jean-François Tétu, la radio, un media délaissé, p 6, Source: ⁽³¹⁾http://www.iscc.cnrs.fr/img/pdf/20ans_hermes_catalogue.pdf (consulté le 07/01/2016).